

أميركا والعالم إلى أين؟

: أصدر مجلس الاستخبارات الأمريكية (NIC) في 20 نوفمبر الحالي تقييما موسعا للتطورات التي يشهدها العالم والولايات المتحدة حتى عام 2025. الدراسة التي تم إعلانها تتحدث عن رؤية مجلس الاستخبارات الأمريكية للتطورات التي يشهدها العالم وموقع الولايات المتحدة من كل ذلك، وتعنى الدراسة كذلك بمدى تأثير تلك التطورات على الولايات المتحدة وهل ستساعد واشنطن في تفوقها الحالي أم أنها ستحد من ذلك التفوق. هذه الدراسة تأتي بعد دراسة أصدرها المجلس في نفس الوقت من العام الماضي، وأثارت الكثير من الجدل حول البرنامج النووي الإيراني، حينها قال تقرير مجلس الاستخبارات الأمريكية إن إيران جمدت نشاطاتها النووية ذات الطابع العسكري في عام 2003. الدراسة الجديدة تخلص إلى نتائج تبدو في معظمها متشائمة بشأن العالم وتطوراتها خلال الفترة المشار إليها، الأزمات المتواصلة والتنافس على منابع الطبيعة كالمياه والمواد الغذائية كلها تدفع إلى مزيد من الصراعات الدولية، والتنافس الدولي على امتلاك التكنولوجيا النووية وكذلك الأسلحة النووية سيتزايد وربما يتجاوز الدول إلى المنظمات الإرهابية، بحسب الدراسة. الدراسة تخلص كذلك إلى نتيجة هامة لا تقل عما سبق، وهي أن الحضور السياسي والاقتصادي للولايات المتحدة الأمريكية سيضعف خلال العقدين القادمين لحساب قدرات ناشئة كالصين والهند، إذ تشير الدراسة إلى أن هذين البلدين سيتحولان إلى دول مؤثرة وبفعالية في ميدان السياسة الدولية، لاسيما مع التراجع الذي سيصيب الدور الأمريكي والذي سينتج عنه تراجع في قيمة الدولار كرمز من رموز النفوذ الأمريكية في العالم. في هذا السياق يشير التقرير إلى احتمالية انضمام ثلاث دول جديدة للقوى العالمية الفاعلة وهي تركيا وإندونيسيا وإيران.

لغة الأرقام تبدو في غاية الأهمية ولها دلالاتها في هذا الدراسة، فإذا ما نظرنا إلى المرات التي ذكر فيها كلمة «الأمن» لوجدنا أنها ذكرت 80 مرة، فيما ذكرت منطقة الشرق الأوسط 63 مرة، أما «تهديد» أو «تهديدات» فقد ذكرت 21 مرة. ذكر الإسلام 10 مرات، أما إيران فقد ذكرت 50 مرة وإسرائيل خمسة مرات. ذكرت الهند في التقرير بوصفها إحدى القوى الناشئة 95 مرة، فيما ذكرت الصين 152 مرة، أما روسيا فذكرت 91 مرة. منطقة الخليج لم تذكر إلا خمس مرات تحت مسمى (الخليج الفارسي). ذكر النفط 82 مرة، أما الغاز فقد ذكر 41 مرة. التكرار للكلمات التي سبقت يعكس مدى أولوياتها للولايات المتحدة من جانب، أو أنها في الحقيقة جوانب تستدعي أن تأخذها واشنطن بجدية أكبر في المستقبل.

الصورة القائمة التي يرسمها التقرير تأتي في وقت يتحدث فيه الأميركيون عن «التغيير» الذي أتى بالرئيس المنتخب باراك أوباما والذي يأمل الأميركيون أن يأتي أيضا بتغيير أكبر، كما أنه يأتي في وقت تعيش فيه الولايات المتحدة إحدى أهم الأزمات المالية والاقتصادية التي يبدو أن الدراسة قد وقعت بشكل أو بآخر تحت تأثيرها. فلغة التشاؤم التي تبدو بين سطور الدراسة ليست بعيدة عن تفكير فريق من المنظرين بشأن الأزمة الاقتصادية والذين يرون أنها ستقود الولايات المتحدة إلى المزيد من التراجع، كما أنها ستدفع الولايات المتحدة لتصبح دولة عادية شأنها شأن بقية الدول.

سيطرة مفهوم الأمن والقلق على الاستقرار الذي يعيشه العالم يبدو واضحا، مفهوم لا يبدو بعيدا من تفسير يقول إن الأمن أو الأمن في العالم اليوم هو نتيجة ديناميكية السياسة الأمريكية في العالم، وأنه مع ما يمكن أن يصيب تلك الديناميكية من تغيير في ظل الرئاسة الجديدة فإن الأمن والسلم الدوليين سيكونان في امتحان حقيقي.

إن تقييم مجلس الاستخبارات يبدو جديرا بالتوقف عنده لاسيما أنه يصدر من مؤسسات أمنية معنية بمسألة وجود الدولة، فإن يصدر تقييم بهذه الصراحة بعد سنوات من الانتقادات والمشاعر ضد الأميركيين ربما يمثل أيضا أمرا جديرا بالاهتمام، خاصة إذا ما عرفنا أن تراجع الحضور السياسي والاقتصادي الأمريكي ليس بعيد عن تغيير صورة أميركا في العالم بعد أحداث سبتمبر 2001، تلك الصورة التي حولت الولايات المتحدة من ضحية للعنف إلى دولة متجاوزة على القانون. أخيرا إن تقييم مجلس الاستخبارات الأمريكية ربما يرسل رسالة أخرى أن الولايات المتحدة في طريقها لأن تصبح «أمة بين الأمم ودولة بين الدول» وليست الأمة أو الدولة الوحيدة التي تقود العالم.

mzweiri@aol.com